﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [الأنعام: 148]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

اختلاقُ الأعذارِ لكُفرِهم

لَمَّا حكى عن أهلِ الجاهليَّةِ إقدامَهم على الحُكْمِ في دِينِ اللهِ بغير حُجَّةٍ ولا دليلٍ، حكى عنهم عُذْرَهُم في كلِّ ما يُقدِمون عليه مِنَ الكُفْرِيَّاتِ، فيقولون: لو شاء اللهُ منَّا ألَّا نَكفُرَ لمَنَعَنا عن هذا الكُفرِ، وحيث لم يَمنَعْنا عنه، ثبَتَ أنَّه مُريدٌ لذلك، فإذا أرادَ اللهُ ذلك منَّا، امتنَعَ منَّا تركُهُ، فكنَّا معذورين فيهِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَشۡرَكُواْ﴾: الشِّرْكُ في اللُّغةِ: النَّصيبُ، ويأْتي بمعنى المُشارَكَةِ، وهي الانْضِمامُ والمُخالَطَةُ بينَ الشَّريكَيْنِ، ويُطْلَقُ على الكُفْرِ، وعلى اقْتِسامِ الشَّيْءِ والاشْتِراكِ فِيهِ؛ وفي الاصطلاح: تَسْوِيَةُ المَخْلوقِ باللهِ تعالى، فِيما هو مِن خَصائِصِ اللهِ تعالى[2]، وهو المعنى المرادُ في الآيةِ.

2) ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: المَشِيئَةُ: الإرادَةُ والقَصْدُ، والمَشِيءُ: المُرادُ الذي يَتَعَلَّقُ به القَصْدُ، وأَصْلُ المَشِيئَةِ: الإيجادُ، مَأْخوذَةٌ مِنَ الشَّيْءِ؛ وهو: كُلُّ مَوجودٍ إمَّا حِسًّا أو مَعْنًى، وتأْتي بمعنى الاخْتيارِ، والرَّغْبَةِ، والمَحَبَّةِ؛ وهي إرَادَةُ اللهِ الكَونِيَّةُ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/172 - 173.

(2) الجوهري، الصّحاح، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (شرك).

وهي أنَّ ما شَاءَ اللَّهُ كانَ، ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وهِيَ مِنْ صِفَاتِ اللَّه الفِعليَّة[1]، وهو المعنى المرادُ في الآية.

3) ﴿حَرَّمْنَا﴾: التَّحريمُ: الحَظْرُ، وشَيءٌ مُحَرَّمٌ، أَي: مَحْظُورٌ، وَضِدُّهُ الإِبَاحَةُ وَالإِذْنُ وَالجَوازُ، وَأَصْلُ التَّحْرِيم: المَنْعُ، يُقَالُ: حَرَّمَ الشَّيْءَ، أَيْ: مَنَعَ مِنْهُ، وَلَمْ يُجِزْهُ، والتَّحْرِيمُ: طَلَبُ الشَّارِعِ تَرْكَ الفِعْلِ تَرْكًا جَازِمًا[2]، والمعنى في الآية: لم نحلِّل ما حرَّمه اللَّه، ونحرِّم ما أحلَّه.

4) ﴿ذَاقُواْ﴾: الذَّوْقُ: اخْتِبارُ الشَّيْءِ من جِهَةِ التَّطَعُّم، يُقال: ذُقْتُ المَأْكُولَ، أَذُوقُهُ، ذَوْقًا، وذُقْتُ ما عِنْدَ فُلانٍ: إذا اخْتَبَرْتَهُ، وذَوَّقَهُ الطَّعامَ: جَعَلَهُ يَخْتَبِرُ طَعْمَهُ بِلِسانِهِ، والذَّوْقُ أيضًا: طَعْمُ الشَّيْءِ، وهو قُوَّةٌ إِدْراكِيَّةٌ لها اختِصَاصٌ بِإِدْرَاكِ لَطائِفِ المَحْسُوسَاتِ، وهو معرفةُ طَعْمِ الشَّيءِ، أي: وقعهُ على الحسِّ بالتَّناولِ منهُ، ومن هذا: الإحساسُ المادِّيُّ المباشر في الرَّحمة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ [الشورى: 48]، أو في النِّقمَةِ، كما في الآيةِ الكريمة[3].

5) ﴿ٱلظَّنَّ﴾: الشَّكُّ والتَّرَدُّدُ، يُقال: ظَنَنْتُ الشَّيْءَ: إذا شككتُ فِيهِ، ولم أتيقَّنْهُ، ويأْتي بِمعنى الاتِّهام؛ والظِّنَّةُ: التُّهْمَةُ، ويُطْلَقُ الظَّنُّ على اليَقِينِ والعِلْمِ، فيُقال: ظَنَنْتُ ظَنًّا، أَيْ: عَلِمْتُ، وأيقَنْتُ، وجَمْعُه: ظُنونٌ[4]، قال الرَّاغب: "الظَّنُّ: اسمٌ لما يحصل من أمارةٍ، ومتى قويَتْ؛ أدَّتْ إلى العلمِ، ومتى ضَعُفَتْ؛ لم تجاوز حدَّ الوهم"، والمعنى في الآية: إلَّا ظنًّا وحسبانًا منكم أنَّه حقٌّ؛ وهو باطلٌ.

6) ﴿تَخْرُصُونَ﴾: أَصْلُ الخَرْصِ: حَزْرُ الشَّيْءِ وَتَقْدِيرُهُ، يُقَالُ: خَرَصْتُ النَّخْلَ أَخْرُصُهُ خَرْصًا؛ إِذَا حَزَرْتُ ثَمَرَهُ وَقَدَّرْتُهُ؛ وَبَاعَهُ خَرْصًا، أَي: تَقْدِيرًا مِنْ غَيْرِ وَزْنٍ، والتَّخْرِيصُ: القَوْلُ بِالظَّنِّ، تَقولُ: تَكَلَّمَ بِالخَرْصِ، أَيْ: بِالظَّنِّ، وَالخَرَّاصُ: الكَذَّابُ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ[5].

---

(1) الأصفهاني، الحجة في بيان المحجّة: 2/24، وابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (شيء).

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (حرُمَ).

(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ذوق).

(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، والرّاغب، المفردات: (ظن)، والجرجاني، التعريفات، ص: 187.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، وابن منظور، لسان العرب: (خرص).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

احـتـجـاجُ المـشـركـين بالقضاءِ والقدرِ عـلى شِـركِـهـم وتحريـمِـهـم ما أحلَّ اللهُ

يُخبِرُ تعالى أنَّ الَّذين أشْرَكوا سيقولونَ: لو أرادَ اللهُ، ما وَقَعَ منَّا ولا مِن آبائنا الشِّرْكُ، ولا حَرَّمْنا مِن شيءٍ، فلَمَّا لم يَفْعَلْ؛ دَلَّ ذلك على رِضاهُ بذلك، ثم بَيَّنَ تعالى أنَّ هؤلاءِ المشركينَ كَذَّبوا بالطَّريقةِ نفسِها الَّتي كَذَّب بها الَّذين مِن قَبْلِهم، والَّذين لم يَزَلِ التَّكذيبُ دَأْبَهم، حتى أسخَطُوا اللهَ، فغضبَ عليهم، فأحلَّ بهم نِقمتَه وعقوبته، ثمَّ أمَرَ اللهُ نَبيَّه محمَّدًا ﷺ أن يسألَ هؤلاءِ المُشركينَ: هل عِنْدَهم مِن عِلْمٍ يقينيٍّ بأنَّ اللهَ راضٍ عنهم، فلْيُظْهِروهُ ولْيُبَيِّنوهُ، ولْيَقُلْ لهم: إنَّهم لا يَتَّبِعون إلَّا مُجَرَّدَ أوهامٍ باطلة، وإنْ هم إلَّا يتَقَوَّلونَ على اللهِ الباطِلَ، ويَكْذِبونَ عليه فيما يَدَّعونَه. وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ احتجاجَ المشركينَ بالقضاءِ والقدرِ ليس مقصودًا لذاتِه، وهُم يعلمونَ أنَّه ليس حجَّةً، وإنَّما المقصودُ منه دَفعُ الحقِّ، ويرون أنَّ الحقَّ بمنزلةِ الصَّائلِ، فهُم يدفعونهُ بكلِّ ما يخطرُ ببالِهم مِنَ الكلامِ، وإن كانوا يعتقدونهُ خطأً[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ السِّينِ في قولِهِ: ﴿سَيَقُولُ﴾:

الإخبارُ بما تُكِنُّهُ نفوسُهم من تزويرِ الحُجَّةِ، معجزةٌ من معجزاتِ القرآنِ

السِّين: للاستقبالِ القريبِ، وقد أخبرَ اللهُ عنِ المشركينَ أنَّهم سيقولونَ هذه المقالةَ، وقد وقعَ مقتضاهُ كما حكى عنهم في سورةِ النَّحلِ بقولِه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾. فإن كانَ ضميرُ الرَّفعِ في قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ [الأنعام: 147] عائدًا إلى المشركينَ؛ كان قولُهُ تعالى هنا: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ إظهارًا في مقامِ الإضمارِ؛ لزيادةِ تفظيعِ أقوالِهم، فإخبارُ اللهِ عنهم بأنَّهم سيقولونَ ذلك إن كانَ نزولُ هذه الآية قبل نزول

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/209، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 148.

آيةِ سورةِ النَّحلِ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [النحل: 35] وهو الأرجحُ؛ فإنَّ سورةَ النَّحلِ معدودةٌ في النُّزولِ بعد سورةِ الأنعام - كان الإخبارُ بأنَّهم سيقولونَهُ اطِّلاعًا على ما تُكنُّهُ نفوسُهم مِن تزويرِ هذه الحجَّةِ؛ فهو معجزةٌ مِن معجزاتِ القرآنِ مِن نوعِ الإخبارِ بالغيبِ، كقولِه تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: 24]، وإن كانَ نزولُ هذه الآيةِ بعد نزولِ آيةِ سورة النَّحلِ، فالإخبارُ بأنَّهم سيقولونهُ، معناهُ: أنَّهم سيُعيدون معذرتَهُم المألوفة[1].

إيثارُ اسمِ الموصولِ، والعدولُ عنِ الاسمِ الصَّريحِ:

لأنَّ جملةَ الصِّلةِ دالَّةٌ على محورِ قضيَّتِهم ولُبِّ قولِهم

آثر التَّعبيرُ القرآنيُّ استعمالَ اسم الموصول (الذي) دون الاسم الصريح (المشركون)؛ لأنَّ صِلة الموصول الَّتي بعدَهُ تدلُّ على محورِ قضيَّتِهم، ولُبِّ قولهم؛ وهو تلبُّسُهُم بالشِّرك، وانغماسُهُم فيه، واحتجاجُهُم بواقعِهم.

دلالةُ ﴿لَوۡ﴾، وإيثارُ التَّعبيرِ بالمشيئةِ في صيغةِ المُضي:

مطابقةُ الكلامِ لمقتضى الحالِ، وتحقُّقُ وقوعِهِ في المستقبلِ

إيثارُ (لو) الشَّرطيَّة في قوله: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لمطابقةِ الكلام لمقتضى الحال؛ لأنَّ المشركينَ مُصرُّون على أنَّ مشيئةَ اللهِ بعدمِ الإيمانِ بعقيدةِ التَّوحيدِ معدومةٌ، وهذا يناسبه (لو) مِن بين أدوات الشَّرطِ؛ لاستلزامِها انتفاءَ شرطِها. وعلَّةُ التَّعبيرِ بالفعل الماضي ﴿شَآءَ﴾ دالٌّ على تحقُّقِ وقوعِهِ في المستقبلِ؛ لأنَّ الفعلَ الماضي يعطي مِنَ المعنى أنَّهُ قد كان وُجِد، وإنَّما يفعل ذلك إذا كانَ الفعلُ المستقبل مِنَ الأشياءِ العظيمةِ الَّتي يُستَعْظَمُ وجودها[2].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/681، والقنوجي، فتح البيان: 4/269، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/146.

(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/352.

فائدةُ التَّصريحِ بالفاعل ﴿ٱللَّهُ﴾، والتعبير بجملة: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾:

التَّصريحُ بالفاعل ﴿ٱللَّهُ﴾، تصريحٌ بما أفادَه لفظُ ﴿أَشۡرَكۡنَا﴾، والإرادة والمشيئة لا يستلزمان رضاه سبحانَه؛ فإذا كان قد شاءَ ضلالةَ بعضِ عبادِه، فإنَّه لَا يرضى مِن عبادِه الكفرَ[1].

الإرادة والمشيئة لا يستلزمان رضاه سبحانَه:

بلاغةُ الإيجازِ بالحذفِ:

في قوله تعالى: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ إيجازٌ بالحذفِ في مواضعَ عِدَّةٍ، وتقديرُ المعنى: لو شاءَ اللَّهُ عدمَ إشراكِنا بِهِ شيئًا ما أشركْنا به شيئًا، ولا أشْرَكَ آباؤنا به شيئًا من قبل، ولو شاء اللَّهُ عدمَ تحريمنا ما حرَّمناه مِن أكلِ لحومِ بعضِ الأنعامِ ما حرَّمنا نحن ولا آباؤنا ما حرَّمناه، وما حرَّموهُ هُم؛ وهذا من عظيمِ الإيجازِ في كتابِ اللَّهِ المعجزِ.

دلالةُ احتجاجِ المشركينَ بالمشيئةِ:

حَسِبَ المشركون أنَّ مشيئةَ اللَّهِ تستلزمُ رضاهُ؛ ولذا قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾، والحقُّ أنَّ المشيئةَ لَا تستلزمُ الرِّضا، إنَّما امتثالُ الأمرِ هو الَّذي يستلزمُ الرِّضا، واقترافُ النَّهي يستلزمُ الغضبَ؛ فالهدايةُ هي الَّتي تستلزم الرِّضا، ولذا قال تعالى: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: 149]، وهذه شبهةُ أهلِ العقولِ الأفِنَةِ الَّذين لا يُفرِّقون بينَ تصرُّفِ اللَّهِ تعالى بالخلقِ والتَّقديرِ، وحفظِ قوانين الوجود، وهو التَّصرُّفُ الذي نسمِّيه نحن بالمشيئةِ وبالإرادةِ، وبينَ تصرُّفِه بالأمرِ والنَّهي، وهو الَّذي نسمِّيه بالرِّضا وبالمحبَّة؛ فالأوَّلُ تصرُّفُ التَّكوينِ، والثَّاني تصرُّفُ التَّكليفِ[2].

خَلطُهم بينَ تصرُّفِ التَّكوينِ وتصرُّفِ التَّكليفِ

بلاغةُ الجناس في ﴿أَشۡرَكُواْ﴾ و﴿أَشۡرَكۡنَا﴾، وسِرُّ التَّعبيرِ بالشِّركِ:

أكسَب الجناسُ غيرُ التَّامِّ في ﴿أَشۡرَكُواْ﴾ و﴿أَشۡرَكۡنَا﴾ الأسلوبَ

(1) الأنصاري، فتح الرحمن: 1/179 - 180، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2723.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ146، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2722.

التَّناسبُ في البناءِ الصَّوتيّ، واشتقاق الكلمةِ يحكي بغيَهم على أنفسِهم

جمالًا فنيًّا، بما أضافَهُ إلى النَّسق مِن انسجامٍ وتناسبٍ وتآلفٍ في البناءِ الصَّوتيِّ، يُثري المعنى، ويُغني الصِّياغة؛ وهو أسلوبٌ فَنِّيٌّ في التَّعبيرِ يُضيف إلى الفكرةِ، ويزيدُ في جمالِ الأسلوبِ[1].

خروجُ الكلامِ على خلافِ مقتضى الظَّاهرِ:

تبشيعُ قولِهم، وزيادةُ تبكيتِهم

خرجَ الكلامُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ على خلافِ مقتضى الظَّاهرِ؛ إذ مقتضى الظَّاهر أن يُؤتى بالضَّميرِ لا بالاسمِ الظَّاهرِ؛ بدليلِ أنَّ ضميرَ الرَّفعِ في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ [الأنعام: 147] يعودُ - في أحدِ قولي التَّفسيرِ - على المشركين، ولعلَّ السِّرَّ في هذهِ المخالفةِ هو التَّنصيصُ على المشركينَ، وذلك لزيادةِ تفظيعِ ما قالوهُ؛ وفي هذا تبكيتٌ لهم[2].

فائدةُ عطفِ قولِهِ: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾، على ما قبلَهُ:

الإشارةُ إلى أنَّهم إنَّما يتَّبعون دينَ آبائِهم المشركينَ

قولهُ تعالى: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ معطوفٌ على الضَّميرِ المرفوعِ، وأغنى الفصلُ بـ(لا) بين حرف العَطف والمعطوف عن الفَصلِ بين المتعاطفين بضمير مُنفصلٍ يلي الضَّمير المتَّصل أو بغيره، وفي عطفِ آبائهم عليهم إشارةٌ إلى أنَّهم إنَّما يتَّبعون دينَ آبائِهم، وأنَّهم إذا كانوا هم وآباؤهم على شركٍ، فذلك ممَّا أرادهُ اللّهُ لهم، ولو شاء اللّهُ لهم ألَّا يُشركوا ما أشركوا؛ هكذا يمكرون بآياتِ اللّهِ، وهكذا يتعلَّلون بمشيئةِ اللّهِ، ويسترونَ شركَهُم بها[3].

دلالةُ (لا) في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾:

تأكيدُ نفي شركِ آبائِهم على زعمِهم

لـمَّا دخلتْ كلمةُ (لا) على قوله: ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ كان ذلك مُوجبًا إضمارَ فعلٍ هناك؛ لأنَّ صرف النَّفي إلى ذواتِ الآباء محالٌ، بل يجبُ صرفُ هذا النَّفي إلى فِعلٍ يصدر منهم؛ وذلك هو الإشراكُ،

(1) عبد الفتاح عثمان، دراسات في المعاني والبديع، ص: 174.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/310، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ146.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/359، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/681، وعبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 4/334.

فكان التَّقديرُ: ما أشركنا، ولا أشركَ آباؤنا؛ وعلى هذا التقديرِ فالإشكالُ زائلٌ[1].

دلالةُ التَّقديمِ والتَّأخيرِ في الآية:

الشِّركُ أعظمُ الجرائمِ وأهولُها

قدَّمَ سبحانه موضوعَ الشِّركِ على موضوع التَّحريمِ؛ لأنَّ الشِّركَ أهوَلُ شأنًا مِنَ التَّحريم، كما قدَّمَ أنفسَهم على آبائِهم؛ لأنَّ القرآن يخاطِبُهُم هم ويواجهُ مفترياتِهم فكانوا أولى بالتَّقديم.

علَّةُ ذكرِ آبائِهم معهُم:

تذرُّعهم بأنَّ ما هم عليه عريقٌ قِدَمَ آبائِهم

جيء بذكرِ آبائِهم معهم، وكان يمكنُ الاكتفاءُ بذِكر أنفسِهم دونَهم؛ وذلك ليتَّخذوا من ذِكر آبائِهم عذرًا لهم في أنَّ ما هم عليهِ عريقٌ لا وليدَ السَّاعةِ.

سرُّ النَّفي بـ(لا) في قوله: ﴿وَلَا حَرَّمْنَا﴾ دون (ما):

تفيدُ (لا) تحقيقَ المعنى وتأكيدَ النَّفي

(لا) تنفي حدوثَ الفعلِ المضارعِ في الاستقبالِ، و(ما) تنفي حدوثَ الفعلِ في الحالِ[2]، ودخول (لا) هنا على الفعل الماضي لتحقيق المعنى وتأكيد النَّفي؛ لأنَّها جاءت بعد واو العطف، و(لا) النافية إذا دخلت على الماضي؛ وجب تكرارُها إلَّا في الدُّعاء؛ هكذا جاءت في كلام العرب وفي القرآنِ، مثل: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١﴾ [القيامة: 31]، ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البلد: 11][3]، فدلالتها في الجملةِ الكريمةِ على تَأكيدِ نفي تحريمِهم لما أحلَّه اللّٰه تعالى لهم من الأنعامِ، أمَّا (ما)؛ فتكونُ لنفي الفعل الماضي نفيًا غير مؤكَّدٍ، إلَّا إذا سُبقت بقسم، كقوله: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٌ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٩﴾ [المائدة: 19]، وقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضُّحى: 3]. وأمَّا (ما) الدَّاخِلَةُ على المضارع؛ فهي تنفي حدوثَ الفعلِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/175.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/221.
(3) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 2/572.

الواقعِ في الحال، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [فصلت: 35]، فهي واصفةٌ لحال من كانَ كذلك. قال تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: 61]، فاقتضى المقامُ النَّفي بلا، فناسبتْ (لا) بصيغتِها ودلالتِها الآيةَ من كلِّ جهةٍ.

دلالةُ العمومِ في قولِهِ: ﴿مِن شَيْءٍ﴾:

تنكيرُ اسمِ الجنسِ دالٌّ على التَّحقيرِ

كلمةُ ﴿شَيْءٍ﴾ من أسماءِ الأجناسِ العاليةِ العامَّةِ، فإذا أُضيفَتْ إلى اسمِ جنسٍ، أو بُيِّنت به؛ عُلِمَ أنَّ المتكلِّم ما زادَ كلمة ﴿شَيْءٍ﴾ قبل اسمِ ذلك الجنس أو بعده إلَّا لقصدِ التَّقليلِ؛ لأنَّ الاقتصارَ على اسمِ الجنسِ الَّذي ذكره المتكلِّم لو شاءَ؛ لأغنى غناءها، فما ذكر كلمةَ ﴿شَيْءٍ﴾ إلَّا والقصدُ أن يدَّل على أنَّ تنكيرَ اسمِ الجنس ليس للتَّعظيمِ ولا للتَّنويعِ، فبقيَ لهُ الدَّلالة على التَّحقير[1].

بلاغةُ التَّشبيهِ في قولِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

شناعةُ التَّكذيبينِ الحاصلينِ وقبحُهُما

تشبيهُ معقولٍ بمعقولٍ؛ المشبَّه: هو تكذيبُ الَّذين من قبلهم، والمشبَّهُ به: هو تكذيبُ مشركي العربِ في عصرِ نزولِ القرآن، ووجهُ الشَّبهِ: هو الشَّناعةُ والقُبحُ.

إيثارُ استعمالِ اسمِ الإشارةِ (ذلك) دونَ غيرِهِ:

الدَّلالةُ على بُعدِ قولِ المشركينَ عنِ الصَّوابِ

آثرَ النَّظمُ القرآنيُّ استعمالَ اسمِ الإشارةِ (ذلك) الموضوعِ للبعيد؛ للدّلالةِ على بُعد قولهم عن الصَّوابِ، حتَّى كأنَّه لشناعَتِهِ لم يعهدْ لَهُ وجود[2].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالكذبِ عنِ احتجاجِهِم:

أتى بالتَّعبيرِ بالكذبِ في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/55، و7/166.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/353.

الَّذين أشركوا قصدوا بقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ تكذيبَ النَّبيِّ ﷺ إذ دعاهم إلى الإقلاعِ عمَّا يعتقدون، بحجَّةِ أنَّ اللهَ رضيَهُ لهم، وشاءَهُ منهم مشيئةَ رِضا؛ فكذلك الأُممُ قبلَهم كذَّبوا رُسلَهم مُستندين إلى هذه الشُّبهةِ، فسمَّى اللهُ استدلالَهُم هذا تكذيبًا؛ لأنَّهم ساقوه مساقَ التَّكذيبِ والإفحامِ، فكلامُهم من باب كلامِ الحقِّ الذي أريدَ به باطلٌ[1].

سمَّى اللهُ استدلالَهُم تكذيبًا؛ لأنَّهم ساقوهُ مساقَ التَّكذيبِ والإفحامِ

وجهُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾:

أتى بالتَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تحقيرًا لهم على كذبِهم، واستصغارًا لهم على فعلتِهم، كما أفادَ الاسمُ الموصول الاختصارَ؛ إذ لو عدَّد أسماءَ الَّذين أشركوا، وحرَّموا من قَبلُ؛ لطالَ الحديثُ بذلك.

الاختصارُ والتَّحقيرُ لهم

عِلَّةُ جعلِ قوله: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ غايةً للتَّكذيبِ:

في الجملةِ الكريمةِ إيماءٌ إلى أنَّ لهم عذابًا مُدَّخرًا عند اللهِ تعالى؛ لأنَّ الذَّوق أوَّل إدراك الشَّيء، ويحتمل أن يكونَ بأسُ اللهِ بقوَّة المؤمنين في الدُّنيا، وكيفما يكونُ العذابُ فإنَّ إيثارَ التَّعبيرِ بالماضي، وهو واقعٌ في المستقبلِ للدَّلالةِ على تأكُّدِ وقوعِه، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1].

تأكيدُ وقوعِ العذابِ في المستقبلِ

بلاغةُ المجازِ في قولِه: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾:

الذَّوقُ مجازٌ في الإحساسِ والشُّعورِ، فهو مِن استعمالِ المقيَّدِ في المطلقِ، ويصلحُ أن يكونَ استعارةً مكنيَّةً، حيث شبَّه البأسَ بطعامٍ يُذاقُ باللِّسانِ، ثمَّ حذفَ المشبَّهَ بهِ، ورَمَز إليه بشيءٍ من لوازمِه[2].

تشبيهُ وقوعِ العذابِ بمنزلةِ الشَّيءِ المحسوسِ

فائدة تغايرِ الإضافةِ في قوله: ﴿بَأْسَنَا﴾ و﴿بَأْسُهُۥ﴾:

في قولِه: ﴿بَأْسَنَا﴾، أُضيفَت الكلمةُ إلى الضَّميرِ العائدِ إلى اللهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ148.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ149، والدمياطي، الشامل في بلاغة القرآن: 1/377.

ﷻ؛ وذلك لتعظيمِ شأن هذا البأسِ وتهويلِه، وهذا الجزاءُ العظيمُ من عظم الذَّنبِ الذي اجترحوهُ. أمَّا إضافةُ ضميرِ الغائبِ إلى قولِه: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ فهو وعيدٌ وتَوَقُّعٌ، كما دلَّ على عظيم سطوتِهِ ﷻ على المجرمينَ.

تعظيمُ شأنِ هذا البأسِ وتهويلُهُ في (بـأسـنـا)، وتوقُّعُ الوعيدِ في (بأسه)

سرُّ تقديمِ تكذيبِهم في جملة: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ﴾ على جوابِهم بـ﴿قُلْ﴾:

حاصلُ ردِّ اللهِ عليهِم بأنَّ كلامَ المشركينَ يتضمَّنُ تكذيبَ الرُّسلِ، وقد دلَّت المعجزةُ على صدقِهم، ولا يخفى أنَّ المقدِّمة الأولى، وهي أنَّ كلَّ شيءٍ بمشيئةِ اللهِ، لا تكذيبَ فيها، بل هي متضمِّنةٌ لتصديقِ ما تطابقَ فيه العقلُ والشَّرعُ من كون كلِّ شيءٍ بمشيئةِ اللهِ، وامتناعُ أن يجريَ في مُلْكِه خِلافُ ما يشاءُ، فمنشأُ التَّكذيبِ هو المقدِّمةُ الثَّانيةُ، وهي: أنَّ كلَّ ما تعلَّقتْ به مشيئةُ اللهِ وإرادتُهُ، فهو مشروعٌ ومرضيٌّ عنهُ؛ لأنَّ الرُّسلَ - ﷺ - يدعونهم إلى التَّوحيدِ، ويقولون لهم: إنَّ اللهَ لا يرضى لعبادِه الكفرَ دينًا، ولا يأمرُ بالفحشاءِ، فيكون قولهم: - إنَّ ما نرتكبهُ مشروعٌ ومرضيٌّ عنده سبحانَه - تكذيبٌ لقولِ الرُّسلِ؛ وحيثُ كان فسادُ هذه الحجَّةِ باعتبارِ المقدِّمةِ الثانية تعيَّنَ أنَّها ليستْ بصادقةٍ، وحينئذٍ يصدقُ نقيضُها وهي أنَّه ليس كلُّ ما تعلَّقت به المشيئةُ والإرادة بمشروعٍ أو مَرْضِيٍّ عنده سبحانه، بناءً على أنَّ الإرادة لا تساوقُ الأمر، ثمَّ بعد هذا الرَّدِّ المفحمِ للمشركين أمرَ اللهُ تعالى رسولَهُ أن يطالبَهم بدليلٍ على مزاعمِهم، فقالَ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾[1].

إلـجـامُـهـم الـحُـجَّـةَ قبل مطالبتِهم بالرَّدِّ لزيادةِ التَّوبيخِ والتَّبكيتِ

علَّةُ تصديرِ الجملةِ بفعلِ الأمرِ ﴿قُلْ﴾:

في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم﴾، تصديرُ الجملةِ بفعلِ الأمرِ ﴿قُلْ﴾ جيءَ به للإيذانِ بما للجملةِ الكريمةِ من أهمِّيَّةٍ بالغةٍ، وكونها

تقويةٌ للحُجَّةِ، وزيـادةُ توثيقِ النَّصِّ القرآنيِّ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 4/294، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 5/208.

رسالةً خاصَّةً يجبُ مواجهةُ الخصوم بها، وإثباتُ أنَّ هذا القرآنَ هو من عندِ اللهِ تعالى، وما الرسولُ إلَّا مبلِّغٌ عن ربِّه، وإبلاغُهُ في قمَّةِ سماءِ الأمانةِ.

دلالةُ الاستفهامِ في قولِهِ تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم﴾:

الإنكارُ والتَّهكُّمُ واستغراقُ النَّفي

خروجُ الاستفهامِ عن معناه الحقيقيِّ إلى آخرَ فُهِم من السِّياق؛ والخطابُ في الآية للرَّسول ﷺ، واستُفهِم بـ﴿هَلْ﴾؛ لأنَّها تدلُّ على طلبِ تحقيق الإسنادِ المسؤول عنه، ففُهِمَ من ذلك أنَّه سائلٌ عن أمرٍ يريدُ أن يكونَ محقَّقًا، كأنَّه يرغب في حصوله، فيغريهم بإظهارِهِ حتى إذا عَجَزوا كان قطعًا لدعواهم[1]. أمَّا المعنى الَّذي خرجَ إليه الاستفهامُ؛ فهو الإنكارُ والتَّهكمُ، فهُم الَّذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾. فمن أين جاؤوا بهذا القول؟ وذلك يدلُّ على أنَّ القائلين بهذا القولِ ليس لهم بهِ علمٌ ولا حجَّةٌ، وهذا يدلُّ على فسادِ هذا المذهبِ؛ لأنَّ كلَّ ما كان حقًّا كان القولُ به علمًا[2]. يُضافُ إلى ذلك أنَّ الاستفهام أفادَ استغراقَ النَّفي المتضمِّن له الاستفهام بـ﴿مِّنْ﴾ الذي يفيد الاستغراق، أي: هل عندكم من علمٍ، أي: علم تزعمونه، فتخرجوهُ لنا ليكون دليلًا لكم؟[3].

دلالةُ إيثارِ ﴿هَلْ﴾ دونَ الهمزةِ:

الإشـــارةُ إلى أنَّ المـطـلـوبَ بـالاسـتـفـهـامِ يجبُ تحقيقُهُ

إيثارُ ﴿هَلْ﴾ في الآيةِ الكريمةِ دون الهمزةِ إشارةٌ إلى أنَّ المطلوبَ بالاستفهامِ يجبُ تحقيقُهُ لدى الخصوم، وأنَّ المأمورَ بالقولِ ينبغي أن يشدَّدَ على الخصومِ بالإتيانِ بالمطلوب، وهو دليل زعمِهم، ألَّا يفرِّط فيه بغيةَ إظهارِ عجزِهم وتحسيرِهم[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/149.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب:/185.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2720.
(4) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/353.

نكتةُ جناسِ الاشتقاقِ في: ﴿سَيَقُولُ﴾ و﴿قُلْ﴾:

الـدَّلالـةُ على عـظيـمِ مكانةِ الرَّسولِ وعنايةِ رَبِّهِ بهِ

استهلالُ الآية بقولِه: ﴿سَيَقُولُ﴾ ثمَّ تلقينه الرَّدَّ عليهم بقولِه: ﴿قُلْ﴾ يدلُّ على عظيمِ العنايةِ بالرَّسولِ ﷺ، وكريمِ مقامِه ومنزلتِه عند مولاه.

تلوين الخطابِ في الإخبارِ عنِ المشركين بـ﴿سَيَقُولُ﴾:

الإشارةُ إلى تنبيهِ المـخـاطَـبِ إلى السَّبيلِ الأقـومِ في الـــرَّدِّ على الشُّبهاتِ

انتقالُ الخطابِ مِنَ الحديثِ عن المشركين، وعمَّا سيقولونه مِن شبهاتٍ واحتجاجاتٍ إلى أمرِ النَّبيِّ ﷺ بالفعلِ ﴿قُلْ﴾، إشارةٌ إلى تنبيهِ المخاطَبِ إلى السَّبيلِ الأقومِ في الرَّدِّ على الشُّبهاتِ ودحضِ الافتراءاتِ؛ وهو الالتفاتُ عن هؤلاءِ المدَّعين والاهتمام بالوحي المنزَّل على هذا النَّبيِّ الكريمِ سيدنا محمَّد ﷺ، إذ إنَّه هو المخاطبُ الأوَّل بهذا الكتابِ العزيز، وهو المبلِّغُ عن ربِّهِ ﷻ.

تناغمُ الدَّلالةِ الصَّوتيَّةِ في ﴿قُلْ هَلْ﴾:

سرعةُ الجوابِ، وإلـــجـــامُ الخصمِ، وقـوَّةُ الحُجَّةِ

نلحظُ التَّناغمَ اللَّفظيَّ في تتابُعِ الكلمتَين؛ حيث تركَّبت كلتاهما من حرفين، ثانيهما متماثلٌ في الصُّورةِ والصَّوت؛ فكلٌّ مِنَ الحرفين في الكلمتين (لام)، كما أنَّهما متماثلان في البناءِ على السُّكون، على الرَّغْمِ مِن اختلافِ الكلمتَين في النَّوع، فأوَّلهما فِعْلُ أمرٍ، والآخر حرفُ استفهام، ومن دلالةِ صوتَيهما نلحظُ سرعةَ الجوابِ، وذلك لخفَّتهما، وقلَّةِ حروفِهما، كما نلحظُ مِن سكونِ آخرِهما إلجامَ الخصمِ. والعجيبُ أنَّ هاتين الكلمتين وردتا في مواضعَ كثيرةٍ[1]، كلُّها في الرَّدِّ على الكافرين أو المشركين أو المنافقين، ممَّا يؤكِّد قُوَّة إتباعِ السُّؤال بـ﴿هَلْ﴾ عقيبَ الأمر بـ﴿قُلْ﴾.

إيثارُ التَّعبيرِ بقولِه: ﴿عِندَكُم﴾، والعدولُ عن (لديكم):

آثرَ التَّعبيرُ القرآنيُّ استعمالَ ﴿عِندَكُم﴾ دون (لديكم)

(1) وردت (قلْ هلْ) عشر مرات، وهي في: المائدة: 60، والأنعام: 50، 148، والتوبة: 52، ويونس: 34، 35، والرعد: 16، والكهف: 103، والزُّمَر: 9، والنازعات: 18.

في الآية؛ لأنَّ كلمةَ (عندي) تستعمل لما في حوزتكَ حاضرًا أو غائبًا، والمطلوبُ مِنَ المشركينَ في الآية عِلْمٌ يتعذَّرُ إثباتهُ حاضرًا أو غائبًا؛ وهذا لن يتحقَّق؛ لأنَّه قائمٌ على الظَّنِّ والكذبِ، أمَّا استعمالُ كلمة (لدي)؛ فتُستعمَل عند إرادتك الكلامَ عن وجودِ الشَّيءِ حاضرًا بحوزتك الآن، وعلى هذا يكون استعمال ﴿عِندَكُم﴾ هو المناسبَ للسِّياق.

تستخدمُ (عند) لما في حوزتكَ حاضرًا أو غائبًا

نُكْتَةُ العمومِ في قوله: ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾:

في دخول ﴿مِّنْ﴾ على ﴿عِلْمٍ﴾ كنايةٌ عن شمولِ عجزِهم في الإتيانِ بأيِّ أثرٍ مِن عِلم، ولو كان تافهًا؛ وعجزُهم عنه يستلزمُ من باب أَولَى عجزَهم عمَّا له اعتبارٌ مِنَ العِلم[1].

شمولُ عجزِهم عن الإتيانِ بأيِّ أثرٍ مِن عِلْم

بلاغةُ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ في قوله: ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾:

في قوله: ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ؛ شُبِّه فيها الإظهارُ بالإخراجِ، بجامعِ حصول الرُّؤيةِ في كلٍّ منها، وفيها زيادةُ تحسيرٍ فوقَ تحسيرٍ؛ لعدمِ تمكُّنِهم مِن سَوق أَدنَى دليلٍ على صدقِ زعمهم، والفاءُ في ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾ فاءُ السَّببية، و(تخرجوه) مضارعٌ منصوب بـ(أن) المضمرةِ بعد فاءِ السَّببيَّةِ، وعلامةُ نصبهِ حذفُ النُّون.

زيادةُ تحسيرٍ لعجزِهم عن إظهارِ أدنى دليلٍ على زعمهم

دلالةُ نفي العِلم وإثباتِ الظَّنِّ:

في الآيةِ الكريمةِ نُفيَ العِلْمُ وأُثبتَ الظَّنُّ؛ وذلك دلالةٌ على حصولِ المغايرة[2].

دلالة اللَّام في إضافتها إلى ضمير المتكلِّم في ﴿لَنَآ﴾:

اللَّام في قوله: ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ للأجلِ والاختصاص، فتؤذنُ بحاجةِ مجرورِها لمتعلَّقها، أي: فتخرجوهُ لأجلنا، أي: لنفعنا،

إفادةُ الأجلِ والاختصاصِ، وتصويرُ قوَّةِ المتكلِّمِ ومكانتِهِ السَّامية

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/353.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/340.

والمعنى: لقد أبدعْتُم في هذا العلم الذي أبديتموهُ في استفادتِكم، أنَّ اللَّه أمرَكم بالشِّركِ وتحريمِ ما حرَّمتموه بدلالةِ مشيئةٍ على ذلك؛ إذ لو شاء لما فعلتم ذلك، فزيدونا مِن هذا العلم[1]، وأتى بالضَّميرِ (نا) ليُصَوِّر قوَّةَ المتكلِّم ومكانتَهُ السَّاميةَ، وهو رسولُ اللَّه ﷺ، ففيه تعزيزٌ لمكانته وتقويةٌ له وتعزية.

أسلوبُ القَصْرِ ودلالتهُ:

قصارى ما عندَكُم هو الظَّنُّ الباطلُ والخَرْصُ

في قوله تعالى ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أسلوبُ قَصْرٍ، قصرٌ موصوف هو (اتِّباعُهم) على صفةٍ هي (الظَّنُّ)، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، ويتولَّد عنه كنايةٌ لطيفةٌ عن ركاكة عقولِهم وسفهِهم.

بلاغةُ الاستعارةِ ودلالتُها في قوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾:

تمكُّنُ الظَّنِّ منهم حتَّى حجَبَ عنهم نورَ الحقِّ

في ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في لفظ الاتِّباع استعارةٌ تصريحيَّة تبعيَّة شبَّه فيها استسلامَهم للظَّنِّ الكاذبِ بالاتِّباع الحسِّيِّ في طريق تشبيهِ محسوسٍ بمعقولٍ، وسرُّها أنَّ استسلامهم للظُّنون وهواجس النَّفس الكاذبة قد سيطرَ على أفكارِهم كاملةً، حتَّى لكأنَّه يُرى بالعينِ الباصرة[2].

سِرُّ العدولِ عن (ما) النَّافيةِ إلى ﴿إِن﴾ الَّتي بمعناها:

شيوعُ النَّفي بـ (إنْ) آكدُ وأقوى من (ما)

يذكرُ النُّحاةُ أنَّ (إنْ) بمنزلة (ما) في نفي الحال، و(إنْ) تكاد تُطابق (ما) في وظيفتها، وأكثر وقوعها قبل (إلَّا) للجناسِ بينهما، نحو: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40]، والحقيقةُ أنَّ التَّعبيرَ القرآنيَّ قد فرَّق بينهما في الاستعمالِ من خلالِ ما نلحظهُ مِنَ المخالفة بينهما، والعُدولِ عن حرفٍ إلى آخرَ منهما، فالنَّفيُ بـ(إنْ) آكَدُ مِن (ما)؛ يدلُّ على ذلك اقترانُها الكثير بـ(إلَّا)، وهذا ما يعطيها قوَّةً وتأكيدًا، فإنَّ في القصر قوَّةً، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/151.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/353.

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: 10]، وقولِه تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44][1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ ودلالة المضارعيّة:

الاتِّباع هو الإتيانُ بمثلِ فعلِ الآخَر، لأجلِ أنَّ ذلك الآخَر فَعَلَه؛ ثقةً بهِ وتأسِّيًا بأقواله وأفعاله، ولأجلِ هذا آثر التعبيرُ القرآنيُّ استعمالَ ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في الجملة الكريمة دونَ غيرِها؛ لما فيها مِن معنى الائتِمارِ والامْتِثال الأعمى للمُتَّبع، وهذا الاتباعُ المقرونُ بالرُّضوخِ الكاملِ لغيرِهم مِنَ المشركين يكون صفةً متلازمةً فيهم أبدًا، ولأجلِ هذا أتى التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ، الدَّالِّ على الدَّوامِ والاستمرارِ.

الاتِّباعُ المقرونُ بالرُّضوخِ الكاملِ صفةٌ لازمةٌ لهم

سِرُّ العدولِ عن (إنْ أنتم إلَّا تظنُّون):

الجملةُ الكريمةُ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ نافيةٌ أن يكونَ دليلًا مُقنعًا أو مُلزمًا باليقين، ولكنَّهم يتَّبعون ظنًّا ترجِّحه أوهامُهم، وأكَّد أنَّ الظَّنَّ مبنيٌّ على أوهامٍ بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾، أي: ما هم إلَّا يخمِّنون تخمينًا قائمًا على الأوهامِ المضلِّلَةِ، وقد ضلُّوا بذلك ضلالًا بعيدًا؛ لذلك آثرَ التَّعبيرَ بهذا الأسلوبِ، وقد حُذِفَ المتعلَّقُ لتذهبَ نفسُ السَّامع إلى كلِّ ظنٍّ مُمكنٍ هو إثم[2].

الإشـــارةُ إلى فسادِ طريقهم، والـعـمـلُ على اسـتـمـالـةِ نفوسِهم

إيثارُ لفظِ ﴿ٱلظَّنَّ﴾، دونَ (الجهل):

الجهلُ هو خلوُّ النَّفسِ مِنَ العِلمِ، أو اعتقادُ الشَّيءِ بخلافِ ما هو عليه، وكذلك ضدُّ الحِلم لما في الباطنِ من فراغٍ يتمثَّل في السُّلوك بخفَّةٍ وطيشٍ وسَفَهٍ، أو من جفافٍ يتمثَّل في السُّلوك بجفاءٍ وغلظةٍ، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾ [النمل: 55]، أمَّا الظَّنُّ: فهو التَّردُّدُ الرَّاجحُ، وهو رُجحانُ طرفِ الإثبات على النَّفي، دون بلوغِ درجةِ العِلْم، أو

الـظَّـنُّ أبـلـغُ عـبـارةً، وأدقُّ معـنًى لمقابلةِ العلم

(1) السامرائي، معاني النحو: 1/258.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/251، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2721.

الإثباتِ، ويعني: أنَّهم يتَّبعون ظنًّا ترجِّحُه أوهامُهم، وليسَ مبنيًّا على عِلْم.

بلاغةُ الطِّباقِ بينَ العلمِ والظَّنِّ:

الـظَّـنُّ: نـوعُ أمَـارةٍ لا تُطَابق الواقعَ، والعِلمُ: أمـارةٌ تـطابـقُ الواقعَ

استُعمل الظَّنُّ - أحيانًا - في القرآنِ الكريم مُقابلًا للعِلم، وأُخرى مُقابلًا لليقين، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم: 28]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: 32]، وقد عرَّف علماءُ اللُّغةِ (الظَّنَّ) مُرادفًا للشَّكِّ[1]، أمَّا الرَّاغبُ الأصفهانيُّ فيُقَدِّمُ تعريفًا آخر للظَّنِّ أكثرَ انسجامًا مع مواردِ استخدامِهِ في القرآن الكريم، إذ يقول: "الظَّنُّ: اسمٌ لما يحصل عن أمَارةٍ، متى قويَت أدَّت إلى العِلْم، ومتى ضَعُفت جدًّا؛ لم يتجاوز حدَّ التَّوَهُّم"، فالظَّنُّ نوعُ أمَارةٍ لا تطابقُ الواقعَ، والعِلمُ أمَارةٌ تطابقُ الواقعَ، وهذا هو الجامعُ بينَ اللَّفظين في قولِهِ تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[2].

دلالةُ عطفِ جملةِ: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ على ما قبلَها:

العـطـفُ على سابقتِها بمنزلةِ النَّتيجةِ لها

وُصِلتْ هذه الجملةُ بما قبلَها؛ لأنَّ كلًّا منهما خبريَّةٌ في اللَّفظِ والمعنى، فبينَهما علاقةُ التَّوسُّطِ بينَ الكمالين؛ وعَطَفَها على سابقتِها؛ لأنَّها بمنزلةِ النَّتيجةِ لها.

بلاغةُ الالتفاتِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾:

الفَزَعُ إلى الحقِّ والالتزامُ بِهِ

أفادَ الالتفاتُ مِنَ الغَيبةِ إلى الخطابِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ كونَ المواجهةِ أرهبَ في نفوسِهم، ولِيَفزعوا إلى الحقِّ، ولِيَلتزموا قولَ الحقِّ، ولكنَّهم لا يعلمون[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ظن).
(2) الرّاغب، المفردات: (ظن).
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2721.

فائدةُ أسلوبِ القصرِ في جملةِ: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾:

الجملةُ قصريَّةٌ كسابقتها؛ قُصِرَ فيها موصوفُ ﴿أَنتُمْ﴾ على صفة ﴿تَخْرُصُونَ﴾ قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، وجيءَ بضميرِ المخاطبِ، ولم يُصَرَّح باسمِهم تحقيرًا لهم، وزيادةً في بيانِ كَذِبهم، ولم يُستعمَل لفظُ الكذبِ، بل بُولِغ في ذلك، وقُصِرَ على الخرصِ، وهو أقبحُ أنواعِ الكذب.

التَّحقيرُ لهم، والتَّوكيدُ على اتِّصافِهِمْ بأقبحِ أنواعِ الكذب

إيثارُ التَّعبيرِ بالفعل: ﴿تَخْرُصُونَ﴾، ودلالةُ المضارعيّة:

الخَرْص: الأخذُ بالشَّيء من غير علم مُحقَّقٍ، يُقال: خَرَص النَّخلة، أي: قدَّر ما عليها من ثمرٍ قبل أن ينضَجَ، وهذا لا يكونُ إلَّا عن حَدْسٍ وتوهُّم، أشبهَ الرَّجمَ بالغَيب، وقد استُعير هنا للمعنويَّات استعارةَ محسوسٍ لمعقولٍ للتَّشنيع عليهم، وفضحِ طرائقِهم في الاستدلالِ والاعتقاد[1]، وجاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع للدَّلالةِ على الاستمرار والتَّجدُّدِ في كَذِبهم وافتراءاتهم.

بيانُ توهُّمِهم والتَّشنيعُ عليهم، والدَّلالةُ على استمرارهم في الكذب والافتراء

نُكْتَةُ تقديمِ اتِّباع الظَّنّ على الخَرص:

قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ جملةٌ مُستأنَفَةٌ؛ لأنَّها ابتداءُ كلامٍ بإضرابٍ عَنِ الكَلامِ الَّذي قَبْلَه، فبَعْدَ أنْ تَهَكَّم بهم؛ جَدَّ في جوابِهم، فقال: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[2]، أمَّا الفاصلةُ: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾؛ فقد جاءت مؤكِّدةً لمفهوم الجملةِ الأولى، فتقصُرُ ما عندَهم على الظَّنِّ الباطلِ والحزر والتَّخمين.

بيانُ مستواهم العقليِّ، وأنَّ ما عندَهم قائمٌ على الظَّنِّ الباطلِ والتَّخمين

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: 148]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 4/336.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/150.

مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ [النحل: 35]، لِمَ خُصَّتْ كلُّ آيةٍ بما فيها مِنَ البدء، ومِن ﴿أَشۡرَكۡنَا﴾ أو ﴿عَبَدۡنَا﴾، وممَّا فيها بعد ذلك؟

آية الأنعام يسبقها قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾ [الأنعام: 146]؛ فلمَّا كان السِّياق مُتعلِّقًا بما يدلُّ على صِدق الرَّسولِ ﷺ فيما سيحدُثُ مِن أقوالِهم وأفعالِهم قبل أن يقعَ؛ ناسَبهُ ذِكرُ ﴿سَيَقُولُ﴾، ولمَّا كان مِن أبرز مظاهرِ بغيهم إشراكُهُم باللّه؛ ناسَبهُ ذِكر الشِّرك، ولمَّا تقدَّم بيانُ كذبِهم؛ ناسَبهُ أنَّهم ليسوا بِدعًا في ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾.

أمَّا آيةُ النَّحلِ؛ فيسبقها قولُه: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤﴾ [النحل: 34]، فلمَّا كان ذلك جزاءً لما مضى من أعمالهم؛ ناسَبهُ ذِكر ﴿قَالَ﴾، ولمَّا كان العملُ لما يُعبَد عبادةً تشملُ الشِّركَ وغيرَه؛ ناسَبهُ ذِكرُ ﴿عَبَدۡنَا﴾، ولمَّا كانت عبادةُ غيرِ اللّهِ، وتحريمُ ما لم يحرِّمْ أفعالًا قد فعلَها مَن قبلَهم؛ ناسَبهُ قولُه: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾.

التَّشابُهُ بين آية الأنعام وآية النحل:

ومن التَّشابُهِ والاختلافِ بين آية الأنعام [148] وآية النَّحل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ [النحل: 35]، فقد ذكرَ اللّهُ تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مرَّتين، وقال: ﴿نَحۡنُ﴾ فأكَّدَ الضَّمير؛ لأنَّ لفظَ العبادة يصحُّ أن يُنسبَ إلى إفرادِ اللّه بها؛ وهذا ليس بمستنكرٍ، بل المستنكرُ عبادةُ شيءٍ غير اللّه أو شيءٍ مع اللّه، فناسبَ هنا ذِكرُ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مع العِبادة، وأمَّا لفظ ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾، فالإشراكُ يدلُّ على إثباتِ شريكٍ؛ فلا يتركَّب مع هذا الفعل لفظ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾؛ لو كان التَّركيبُ في غير القرآن (ما أشركنا من دونه) لم يصحَّ معناه، وأمَّا من دونه الثَّانية؛ فالإشراكُ يدلُّ على تحريمِ أشياءَ وتحليل أشياء، فلم يحتجْ إلى لفظ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، وأمَّا لفظُ العبادةِ؛ فلا يدلُّ على تحريم شيءٍ، كما دلَّ عليه لفظ (أشرك)، فقيَّدَ بقوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ ولما حذف ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ هنا؛ ناسبَ أن يحذف ﴿نَحۡنُ﴾؛ ليطَّردَ التَّركيب في التَّخفيف[1].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/682.

التَّشابُهُ بين آية الأنعام وآية يونس:

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ [الأنعام: 148]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [يونس: 39]، لِمَ خُصَّتْ كلُّ آيةٍ بما فيها بعد قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؟

آيةُ الأنعام يسبقُها قوله: ﴿فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾ [الأنعام: 147] فلمَّا كان هؤلاءِ قد فعلوا ما يستوجبُ نزولَ البأسِ بهم؛ ناسبهُ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾، أمَّا آيةُ يونسَ؛ فقد بُدئتْ بقوله: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ [يونس: 39]؛ فلمَّا كان معنى تأويلِه عاقبةَ ما فيه من الوعيدِ لمن كذَّبوا، وكان ذلك إشعارًا بقرب قدومِه، كما توحي بذلك ﴿وَلَمَّا﴾؛ ناسبهُ قوله: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الشِّرك) و(الكُفر):

بـــينَ الـشِّـــرك والكُفر خصوصٌ وعـمـوم، فكُلُّ شِـــركٍ كُـفـرٌ، وليس العكس

الكفرُ اسمٌ يقع على ضُروبٍ من الذُّنوب، فمنها: الشِّركُ باللهِ، والجحدُ للنُّبوَّة، واستحلالُ ما حرَّم اللهُ؛ وهو راجعٌ إلى جحدِ النُّبوَّة، وغير ذلك؛ وأصلُهُ التَّغطيةُ، فالكفرُ خصالٌ كثيرةٌ، وكلُّ خصلةٍ منها تضادُّ خصلةً من الإيمان؛ لأنَّ العَبدَ إذا فعلَ خصلةً من الكفر، فقد ضيَّعَ خصلةً من الإيمان، والشِّركُ خصلةٌ واحدة، وهو إيجادُ آلهةٍ مع اللهِ أو دونَ اللهِ، واشتقاقهُ يُنبئُ عن هذا المعنى، ثمَّ كثُر حتَّى قيل لكلِّ كفرٍ: شركٌ، على وجهِ التَّعظيم له والمبالغة في صفتِه[1].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 454، و455.

(عند) و(لدى) و(لدن):

(عند) أوسعُ دلالةً في المعنى، وأكثرُ انتشارًا في الاستعمال، و(لدن) أخصُّ من (عند)؛ لأنَّها تدلُّ على ابتداءِ نهايةٍ[1]، وهي تدلُّ على الالتصاقِ والقُرْبِ الشَّديد، وهي تكاد تكونُ خاصَّة بالعنديَّة لدى الذَّاتِ العليَّة[2]، ولذلك وردتْ كثيرًا في الدُّعاء والمناجاة، وفي ما يؤتيه اللّهُ من أجرٍ[3]، و(لدى) أقلُّ التصاقًا من (لدن)، ودونكَ التَّفصيل:

(عـنـد) أوسـعُ في الـدّلالـةِ على الظَّرفِ، و(لدن) تدلُّ على القربِ واللُّطفِ أكثر من (لدى)

ورد الظَّرفُ (عند) في القرآن الكريم سبعًا وتسعين ومئةَ مرَّةٍ (197)[4]، وورد الظَّرفُ (لدن) ثماني عشرةَ مرَّةً (18)، كلُّها خاصَّةٌ بالذَّاتِ العليَّة، ما عدا موضعًا واحدًا، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف: 76]، وورد (لدى) اثنتين وعشرين مرَّة (22)، في سياقاتٍ متنوِّعَةٍ، كلُّها تدلُّ على القُرْبِ وشِدَّة الإدراك مع شيءٍ مِنَ الامتدادِ، ونلحظُ اتِّفاقَ (لدن ولدى) في الحرفين الأَوَّلَيْن، (لد)، واختلافَهما في الحرفِ الثَّالثِ، ففي "(لدى) تضيفُ الياءُ معنى الامتداد مع اتِّصالٍ، وتعبِّر النُّون في (لدن) عن امتدادٍ جوفيٍّ لطيف، ويُعبِّر التَّركيبُ المختوم بها عن سَرَيان لُطْفٍ ورقَّةٍ في الجوف"[5]، فكلاهما يدلُّ على القُربِ والامتداد المتَّصلِ، ولكنَّ امتداد النُّونِ في (لدن) فيه لُطف.

ذكر الفيُّوميُّ أنَّ (لدى ولدن) لا يُستعملان إلَّا في الحاضر، قال: يقال: لدنه مالٌ؛ إذا كان حاضرًا، ولديه مالٌ كذلك[6]. وبالنَّظرِ في

(1) الرّاغب، المفردات: (لدن).
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4842.
(3) ما ذكره كثير من العلماء، كالعسكري في الفروق: 298، وابن الشجري في الأمالي: 1/341، 342، وابن هشام في مغني اللبيب: 1/136، وقد لخص جلَّ ذلك الدكتور امحمد صافي المستغانمي في برنامج (روائع القرآن) المنشور على (اليوتيوب) بتاريخ: 25/6/2020م.
(4) كما في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي: (عند)، وبمصحف (آية) الإلكتروني، مع مراجعة العدد؛ للاستيثاق منه.
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (لدى).
(6) الفيومي، المصباح المنير: (لدن).

استعمالِ القرآنِ الكريمِ يمكننا أن نتلمَّسَ بعضَ الفروقِ الدَّقيقةِ؛ لإيماننا بإعجازِ القرآنِ وفوقيَّتِه وسُموِّ بلاغتِه؛ فقد وردا مثلًا في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: 65]،

مِن هذه الفروقِ ما يأتي:

أوَّلًا: (عند) مِنَ الظُّروفِ المكانيَّةِ - في الأصل - وقد تأتي لتَدُلَّ على الزَّمان.

ثانيًا: (عند) أوسعُ في الدّلالةِ على الظَّرفِ؛ فهي تدلُّ على الحضورِ الحسِّيِّ والمعنويِّ، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: 40].

ثالثًا: (عند) أكثرُ انتشارًا واستعمالًا في اللُّغةِ والقرآن الكريم.

رابعًا: (لدن) تدلُّ على القربِ واللُّطفِ أكثر من (لدى).

(الكذبُ) و(التَّخرُّصُ):

الخَرْص هو الحَزْر، وليس مِنَ الكذبِ في شيءٍ، والخرصُ ما يُحزرُ مِنَ الشَّيء، يُقال: كم خرص نخلك؟ أي: كم يجيءُ من ثمرته، وإنَّما استعمل الخرصُ في موضعِ الكذبِ؛ لأنَّ الخرصَ يجري على غيرِ تحقيقٍ، فشُبِّهَ بالكذبِ، واستُعمل في موضعه.

الكذبُ ضِدُّ الصِّدق، وشُبِّهَ التَّخرُّصُ به لجريانه على غير تحقيق

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»